تشريح سياسي

هل تصلح الحلول الإصلاحية ما أفسده الاستبداد؟

الحكومات الايرانية تنتهك ما نص عليه الدستور بمنح العرب حقوقهم الثقافية

علي الوكيل

كاتب ايراني مقيم في لندن

يتطلع الاهوازيون في صحوتهم القومية نحو تغيير الواقع ضمن ظروف غاية في التعقيد. فاذا مررنا مرورا سريعا بتاريخنا الحديث، اي منذ الاحتلال عام 1925 فاننا نجد ان حكم رضا شاه كان حكما شوفينيا وعنصريا وحتى عندما استلم من بعده ابنه محمد رضا بهلوي الحكم فانه كان نسخة ثانية عن ابيه، بل اكثر دهاء في التعامل مع القوميات غير الفارسية فقد كان يمنع ظهور اي فكرة او موضوع او حق يخص الثقافات غير الفارسية، ويقمع اي نشاط للمنتمين لها، آذريا كان، او كرديا او عربيا.

بعده اتت الثورة الاسلامية عام 1979 بشعارات ودعايات براقة، وتصورت الشعوب في ايران بان هذه الثورة او هذا الانتقال من الحكم الدكتاتوري البهلوي الى حكم جمهوري اسلامي، يعني الانتقال الى حكم عادل وحر، ولكن ما حصل هو نشوء حكم استبدادي من نوع جديد، وبما ان الشعوب والقوميات في ايران كان لها دور بارز في التصدي لكل ما له علاقة باغتصاب حقوقهم، ورغم كل الوعود التي قطعتها حكومة (الملالي)، فان هذه الوعود لم تتعد الاعتراف بحقوق القوميات، والعجيب في الامر انه عند صياغة الدستور الايراني للجمهورية الاسلامية، دونت المادتان رقم (15) و(19) والتي تنصان على حقوق القوميات في ايران، حيث تنص المادة (15) وبالحرف الواحد، على حق القوميات الايرانية بان تكون لها صحفها ووسائل اعلامها وتدريس ادابها ولغاتها الى جانب اللغة الرسمية اي الفارسية في جميع المراحل الدراسية. لكن للاسف لم تطبق هذه المادة من الدستور، وبقيت المادتان حبرا على ورق، ووصلت نتائج هذه السياسات الى طريق شبه مسدود.

في عام 1997م انتخب محمد خاتمي رئيسا للجمهورية، وخلال هذه السنة حصلت تغييرات وتطورات مهمة تستحق الوقوف عندها، والقاء الضوء عليها فبعد التهميش والغاء دور القوميات في الحياة السياسية الايرانية، والتي تشكل هذه الشعوب اكثر من 60 في المائة من مجموع سكان ايران، حصلت صحوة ونهضة قومية بين ابنائها في هذه الفترة، وبدا واضحا حينها ان فرصة ثمينة قد اتيحت، وبدأت هذه الشعوب باغتنام هذه الفرصة حين اخذ العرب في الاهواز دورهم بعد حرمان وسعت النخبة المثقفة والمتابعة للاحداث في الاهواز وعموم ايران من شابات وشبان الى المشاركة والمطالبة والنزول الى الشوارع لابراز وجودهم وثقافتهم وهويتهم العربية، بعد اعداد العدة ودراسة طاقاتهم مع اخذ الحيطة بعدم الوقوع في قعر التجارب الماضية، فقد بينت الاحداث حينها ان شعبنا العربي الاهوازي لم يكن غافلا عما يجري في دهاليز السياسة الايرانية والتي كان قد بدا التازم السياسي واضحا حينها، فوظف الشعب تلك المرحلة لصالحه لرفع مستواه واستيعاب المتغيرات ولعب دوره الذي كان من المفروض ان يكون.

تفجر الطاقات

وفاجأت النهضة القومية في الاقليم الجميع، ولن اضيف جديدا اذا عدت للحديث عن اسباب تفجر هذه الطاقات، لكن يمكن التأكيد على عدد منها:

اولا ـ ان التفاعل العربي والشعبي جاء بالتأكيد نتيجة الحرمان الذي عاناه طوال السنوات الماضية، والقناعة في انتهاز الفرصة للنهوض، وكانت هذه المشاركة تعبيرا عن الغضب والاحباط الاهوازي.

ثانيا ـ يمكن الاشارة الى دور العامل الاقتصادي المتأزم الذي كان متجذراً وما زال في الاقليم، فبعد ان كانت رتبة المحافظة الثانية في كل ايران، نزلت الى المرتبة الرابعة والعشرين، حيث كانت للحرب الايرانية ـ العراقية دور كبير في هذه الازمة، فقد دارت رحاها في اراض الاهواز ولم يتم اصلاح ما دمرته الحرب في الاقليم بعد توقفها بل قام النظام الايراني باستغلال الفرصة لكبت الحق العربي.

ثالثا ـ دور الاعلام ودور بعض الاخوة العرب الصحفيين والكتاب الذين كان وما يزال لهم دور بارز في الصحف الداخلية، نذكر منهم، لا الحصر الكتاب والصحفيين يوسف عزيزي ومنصور مشرف ومسلم اريحي وآخرين كثيرين ممن كانوا مهتمين بترجمة الاحداث وعكسها للقراء في عموم ايران وللعرب في الاهواز.

وهناك كانت ايضا نقطة لا تقل اهمية يجب الاشارة اليها وهي انه يمكننا الحديث عن مستوى عال من النضج وتراكم التجارب الصحيحة والخاطئة عند العرب الايرانيين قد اسهم في بلورة وعي جديد مفاده استخدام الوسائل الثقافية من الكتب والصحف والمطبوعات الاخرى التي كانت تعتبر الطريق الوحيد في تلك المرحلة لاثبات الذات العربية امام سياسة ايران التي لا تبالي ولا تعير اهتماما للقوميات لهذا كان لا بد من الاستمرار في العمل لخلق مناخ جديد ومرحلة جديدة ليسهل التعامل معه.

وبعد ان مضت مراحل حكم (الاصلاحيين) الاولى بدأت التطورات تفرز امورا كان من الطبيعي ظهورها بعد المثابرة، فقد شهدت مدن وقرى الاهواز امسيات شعرية وموسيقية ومهرجانات ومعارض للكتب العربية المتعلقة بالكتاب والشعراء العرب الاهوازيين، كما كانت هناك ايضا جهود تبذل من قبل طالبات وطلبة الجامعات على توسيع النشاط الثقافي عن طريق اصدار نشريات شهرية ودورية باللغة العربية، فمثلا اصدر طلبة وطالبات جامعة اصفهان نشرة (الفتى) وهم كانوا يركزون على ابراز دور الثقافة والتوعية، منها اللقاءات مع اساتذة عرب ودورهم في اثراء ثقافتنا في المجتمع الاهوازي، وايضا دور اللغة العربية واحيائها، من جهة، وابراز دور الشعر الشعبي والفصيح بجميع اشكاله وانواعه، بل التركيز على شعراء المنطقة واحياء شعر الاهوازيين القدامى.

نشرة أدبية

وفي جامعة شهيد شمران في الاهواز نفسها يصدر الطلبة ايضا نشرة شهرية بعنوان (اهواز) وفيها من الجهود والنتاجات الادبية والثقافية النيرة، كما لا ننسى دور الطلبة في المدن الاخرى، في داخل الاهواز وخارجه، مثلا في جامعة (عبادان). وتنشر في هذه الجامعة نشرة بعنوان (المناهل)، وهناك جهود اخرى تبذل لاحياء ثقافتنا العربية في عموم المنطقة وخارجها التي تعتبر فخرا لنا نحن العرب فالمتتبع لهذه النشاطات والاحداث المهمة يلاحظ اصالة الجهود والنتائج.

وهناك وجه آخر للنتائج في المجتمع الاهوازي حيث ظهرت كتب حول تاريخ وجغرافية المنطقة واقليم الاهواز باللغتين العربية والفارسية، وصدرت بعض الصحف التي كانت تهتم بقضايا العرب في الاهواز باللغة الفارسية وايضا بالعربية والفارسية، نذكر من هذه الصحف صحيفة (اهواز) الاسبوعية لرئيسة تحريرها السيدة منيرة جاسم نزاد وهي مثقفة عربية والصحيفة ممتازة.

ثم بعد ذلك صدرت في اواسط عام 2000 صحيفة (الشورى) الاسبوعية وهي صحيفة باللغتين العربية والفارسية، وتهتم بمشاكل العرب في الاهواز ورئيس تحريرها صالح بور، وهو فارسي، ثم صحيفة (صوت الشعب) الشهرية لصاحبها السيد حسن هاشميان وهو عربي، هذا كله لا يعني بانه لا توجد سلبيات او مشاكل تعرقل طريق الصحوة والنهضة في الاقليم، فما زالت هنالك مشاكل مادية ومشكلة اخرى وهي ضيق نظر الشوفينيين الفرس تجاه الصحوة التي يعتبرونها خطرا عليهم، لكي يسهل عليهم قمع هذه الحريات بساعدهم في ذلك دورهم الكبير في صناعة القرار في طهران، ومن ثم فان هذه القوميات وبالخصوص القومية العربية تعاني من ازمة هوية بسبب سياسات (التفريس) التي كانت وما زالت تمارس ضدهم.

تدوين التاريخ

اما بالنسبة للمثقفين الاهوازيين في الداخل والخارج، وبالخصوص المؤلفين والكتاب فقط قاموا بجهود لا يستهان بها، حيث قام بعضهم بتدوين تاريخنا مستخدما الوثائق، ووفق نظرة جديدة وبافكار جديدة، مثل كتاب التاريخ (خوزستان از دورة افشارية تا دورة معاصر) لمؤلفها السيد موسى سيادت.

كما صدر كتابان للدكتور علي الطائي الذي يعيش في امريكا، والكتاب الثاني الذي يوضح فيه الكاتب عن حدة بروز أزمة الهوية القومية في عموم ايران خاصة بين العرب، ويعطي حلولا في كيفية التعامل مع حل هذه الازمة ضمن المرحلة الراهنة. ثم هناك ايضا، ترجمات لكتب قام بها محمد جواهر الكلام العربي الاهوازي الذي يعيش في طهران، حيث قام بترجمة كتاب بعنوان «تاريخ خوزستان» لمصطفى الانصاري الى اللغة الفارسية، يبين كيفية قراءة قضيتنا ومجتمعنا من قبل الفرس فنحن بحاجة الى هذه الجهود لصياغة تاريخنا الحديث والنظر إليه من كافة الجهات. نقداً وتصحيحاً، كما قام جواهر الكلام بترجمة كتاب سيصل (300 سنة تاريخ خوزستان) من عام 1604 ـ 1925م للكاتب البريطاني جان جوردون.

وظهرت ايضا بعض الجمعيات المدنية والسياسية والثقافية للدفاع عن حقوق العرب في اطار الدستور الايراني مثل (لجنة الوفاق الاسلامي) حيث قامت هذه اللجنة بجهود ممتازة وبدور الموجة للعرب وكانت مهمة هذه اللجنة عند انطلاقها ثقافية وتستهدف توعية الشعب بحقوقه الثقافية والعمل من اجل الحصول عليها، ثم توسع دورها عندما تبنت ترشيح اسماء ممثلين للانتخابات البرلمانية لمجلس الشورى السادس الايراني حيث كان من ضمن شروط اللجنة على المرشح ان يقوم بطرح مشاكل الناس، والعرب منهم على وجه الخصوص، في البرلمان الايراني، وبالتالي السعي لايجاد الحلول العملية لها، بل العمل على الحد من المشاكل المتراكمة التي يعانيها اكثر الناس بشكل عملي في الاقليم.

كما ظهرت ايضا جمعية باسم (جمعية النساء العربيات)، وفي الحقيقة ان هذه الجمعيات كانت، وما تزال، لها الدور الكبير والفاعل في المجتمع الاهوازي، هذا، ولكن مع الاسف فانه وللآن لم تحصل هذه الجمعيات على تراخيص رسمية من الحكومة.

اذاعة الأهواز

وتبث الذاعة بالاهواز يوميا مدة نصف ساعة برامج باللهجة العربية الاهوازية الدارجة، تتخللها موسيقى وتمثيليات اذاعية وتلفزيونية، توضح فيها ما يقلق وما يهم الاسرة حول البطالة والامية والمخدرات، غير ان المواطنين العرب يطالبون بساعات اكثر من البث باللغة العربية، لما لهذه الاعمال الاعلامية من نتائج سليمة وايجابية على الشعب.

ان التركيز على الشأن والنشاط الثقافي هي وسيلتنا للوصول الى غايتنا فاننا نجد ان المجتمعات التي تعاني الكبت والحرمان تطفو السياسة الى السطح وتترسب الثقافة في القعر، لان الثقافة هي الاصل وترتبط بالمجتمع، فالتغير او التطور لا ينتقل الا اذا صار جزءا من الوعي واستبطنه ابناء الشعب والمجتمع، ولا يتم هذا عبر الحلول السياسية، بل الثقافة هي الاصل، ونضرب مثالا على ذلك، بأنه كلما احست القومية او الاقلية بالاضطهاد والتمييز، حلمت بـ(الحلول الثورية)، او لجأت اليها او كلما تحسنت الامور وتضاءل الكبت وعمت العدالة الاجتماعية، زاد ركون ومطالبة الاقلية او القومية بـ(الحلول الاصلاحية) وهيات الفرصة (للتجديد من الداخل) ومن ثم اعلاء الشأن الثقافي.

وبعد ان مضت مراحل حكم (الاصلاحيين) الاولى بدأت التطورات تفرز امورا كان من الطبيعي ظهورها بعد المثابرة، فقد شهدت مدن وقرى الاهواز امسيات شعرية وموسيقية ومهرجانات ومعارض للكتب العربية المتعلقة بالكتاب والشعراء العرب الاهوازيين، كما كانت هناك ايضا جهود تبذل من قبل طالبات وطلبة الجامعات على توسيع النشاط الثقافي عن طريق اصدار نشريات شهرية ودورية باللغة العربية

وجهة نظر

خطة السلام والأمن الشارونية تحشر الفلسطينيين في 10٪ من الأرض

موجة الاحتجاج الاسرائيلي تتسع وحكومة شارون في دائرة السقوط

غازي السعدي

مدير دار (الجليل) في عمان

تتسع موجة الاحتجاج المدنية في إسرائيل يوما بعد يوم، ضد أصحاب صنع القرار السياسي والعسكري بشكل متزايد مما يدل على عدم ثقة شرائح واسعة من بين الإسرائيليين بسياسة حكومتهم، فقد نشرت جريدة هآرتس يوم (2002/3/15) إعلانين منفصلين مدفوعي الثمن، الأول على صفحة كاملة موقع من (750) شخصية إسرائيلية، موجه إلى مجلس الأمن الدولي وإلى سكرتير الأمم المتحدة، يطالبون من خلال إعلانهم بوقف سفك الدماء، وإرسال قوات دولية فورا لوضع حد للوضع المتدهور في الأراضي الفلسطينية، لوقف العدوان الذي تشنه حكومة شارون الذي خلق تصعيدا لم يسبق له مثيل.

أما الإعلان الثاني الذي ظهر في الصفحة الأولى للجريدة نفسها، والموقع من قبل البروفيسور الإسرائيلي داني غور، والذي شن فيه هجوما شديدا لاستمرار الحرب ضد الفلسطينيين جاء فيه: لقد حان الوقت لإقصاء شارون، وأن خطة السلام والأمن الشارونية تعطي للفلسطينيين 10٪ فقط من أرض فلسطين الانتدابية، من دون تواصل إقليمي، بل أن هذه السياسة تهدف إلى ذبح الفلسطينيين وإخضاعهم وضياعهم، وندعي أن ذلك اتفاق سلام ووصف في إعلانه سياسة وتصرفات حكومة شارون بمختلف الأوصاف القاسية، التي تفوق ما يصفه العرب بها، والمذكور وهو من الأثرياء، اعترف بأنه يمول حركات الاحتجاج الإسرائيلية، ونشاطات الضباط والجنود رافضي الخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية، بعد اتهام الأوساط الرسمية، بأن تمويلهم يأتي من حركات اليسار ومصادر أجنبية بهدف تشويه نضالهم.

إنه من الملاحظ أن هناك تحركاً فعالاً، لحركات السلام الإسرائيلية خلال الأشهر الأخيرة، وهذه الحركات التي تحظى بتأييد واسع، ترفع شعارات إنهاء الاحتلال وتجري مظاهرات احتجاجية في مختلف أنحاء إسرائيل، وفي يوم السبت الماضي (2002/3/15) جرت ثلاث مظاهرات في آن واحد، الأولى أمام منزل شارون في القدس، والثانية والثالثة في كل من تل أبيب وحيفا، ويقوم المتظاهرون برفع اللافتات التي تدعو للانسحاب من الأراضي المحتلة، ومن أجل عودة إسرائيل إلى صوابها، كما جرى وضع توابيت في تل أبيب ترمز إلى ضحايا الانتفاضة من كلا الجانبين.

لقد وصل عدد المنظمات الاحتجاجية والتي تطالب بالسلام وانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة (28) منظمة، وهذه المنظمات ترفع شعار: «الاحتلال يقتلنا جميعا»، «الاحتلال جريمة حرب».

حملة اليوم السابع

حركة احتجاجية جديدة أقيمت مؤخرا تحمل اسم اليوم السابع والمقصود هنا بأن حرب 1967 التي أطلق عليها حرب "الأيام الستة" فالحركة الجديدة تضيف إليها يوما آخر، وهو اليوم السابع الذي تطالب فيه إنهاء حرب "الأيام الستة"، وقد انضم إلى هذه الحركة، حركة الأمهات الأربعة، التي نشطت في حينه بسحب قوات الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان، وتدعو الحركة الجديدة إلى انسحاب الجيش من الأراضي الفلسطينية للمحافظة على كرامته، ولكي لا يكرر ما حدث للجيش الإسرائيلي في فراره المهين من الجنوب اللبناني.

لقد جاءت الصحوة الإسرائيلية ولو متأخرة، بفضل صمود الشعب الفلسطيني في مطالبه العادلة، وللخسائر الكبيرة بين الإسرائيليين نتيجة للانتفاضة، والتي أدت إلى تدهور الوضع الاقتصادي في إسرائيل، وكانت بداية الصحوة بعد رسالة رافضي الخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية، الذين كشفوا النقاب عن الفظائع التي يقوم به جيش الاحتلال ضد الفلسطينيين، كما أن التقرير الرسمي الذي نشر مؤخرا والذي كشف النقاب عن ارتفاع طرأ بنسبة 13٪ على عدد الجنود الفارين من الخدمة العسكرية، ومحاكمة (11,200) جندي ومجندة خلال عام 2001، بتهمة الفرار من الخدمة العسكرية، وقد وصف التقرير بأن الأوضاع السياسية والأمنية ساهمت في هذه الزيادة غير المسبوقة، خصوصا جراء الخوف من الخدمة في ظل الانتفاضة والوضع الراهن.

صحيح أن أضرار الفلسطينيين المادية والبشرية يعجز المرء عن وصفها، لكن خسائر إسرائيل أيضا كبيرة كما ليس لديهم جلد على تحمل ما تلحقه بهم الانتفاضة، فالمجتمع الإسرائيلي يعيش في أزمة حادة للغاية، وعدد القتلى في حالة تزايد، والأمن الشخصي مفقود، والمعنويات في أدنى درجاتها، ففظائع الاحتلال تنعكس على المجتمع الإسرائيلي، والحكومة الإسرائيلية لا تملك استراتيجية لحل الأزمة، فتلجأ لاستعمال القوة المفرطة ضد الفلسطينيين، كسياسة قصيرة النظر بل أنها تحمل أضرارا بعيدة المدى.

إن النقاش الذي يدور في إسرائيل، هل أن الشعب الإسرائيلي هو الذي عليه تحمل المسؤولية لانتخاب هذه الحكومة المتشددة التي تعمل على تكريس الاحتلال؟ ويأتي الجواب من نتائج استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي المتتالية، والتي تظهر تدني شعبية شارون، وفشله في الميادين السياسية والأمنية والاقتصادية كافة وفقا لهذه الاستطلاعات فحكومة إسرائيل تعيش مخاضها الأخير وشارون وحكومته يواجهان السقوط.

تشريح الاخبار

طهران اقتربت من بغداد.. فأحرجت المجلس الأعلى

لماذا البحث عن تنظمات اسلامية جديدة؟

داود البصري

كاتب مقيم في اوسلو

التطورات الأخيرة التي تسارعت وتائرها مع اعلان بعض قيادات العمل السياسي الاسلامي المعارض في الساحة العراقية عن نيتها تشكيل تنظيم سياسي هيكلي اسلامي بعيد عن صيغة المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق، والذي تأسس قبل عشرين عاما ونيف، أثارت العديد من علامات الاستفهام والتساؤل حول الأبعاد الحقيقية والميدانية التي ستترتب على مثل هذا الاعلان في مستقبل الحركة الاسلامية السياسية في العراق والتي شهدت حالات من المد والجزر والهيمنة والصراعات الظاهرة حينا والمخفية في أحيان كثيرة، وجميعها عوامل أسهمت في اضعاف هذه الحركة على الرغم من تماسكها الظاهري وسط الانواء والمتغيرات العاصفة التي هبت على المنطقة والعالم في العقود الأخيرة.

بعض الدوائر الاعلامية تصور ما حدث على انه انتفاضة ضد هيمنة رئيس المجلس على القرار السياسي الاسلامي في العراق، وهذا التحليل يفتقد الدقة والمصداقية، وتعوزه الاثباتات الميدانية، كما يفتقر الى المعرفة الحقيقية باشكاليات الساحة السياسية العراقية.

استقلالية المجلس الأعلى

ان المجلس الاعلى بصيغته الراهنة والموروثة منذ عقدين ما هو الا تجمع للقوى الاسلامية وبعضها قد جمد نشاطه منذ زمن طويل، وتؤثر عليه قرارات اللجنة الوزارية المرتبطة بمجلس الوزراء الايراني، بما يؤثر على استقلالية قرار المجلس الأعلى ويجعل من الصعب عليه صناعة أو صياغة المبادرات أو التحرك بمرونة يتطلبها العمل السياسي، وهذه اشكالية غاية في الخطورة طبعت صياغة وآلية عمل المجلس منذ بواكير التأسيس، وطبعا فان الردود على هذا الوضع جاهزة وسط متون النصوص التي تحث على طاعة أولي الأمر والأخذ برأيهم لما فيه مصلحة الدين والدنيا، لكن من الناحية الواقعية والسياسية وفي ظل المتغيرات والعوامل المحيطة بالوضع العراقي تصبح هذه الحالة مشكلة، لأن متغيرات الصراع في الدبلوماسية الايرانية وانفتاحها على النظام العراقي انفتاحا غير مسبوق جعل من التزام العراقيين بمبدأ طاعة أولي الأمر من المسائل المتقاطعة ومبدأ المصلحة الوطنية العراقية، كما يتضارب بشكل كبير مع قطاعات الرأي العام الشعبي العراقي الذي نضج كثيراً، وبات أكثر رفضاً لأي شكل من التبعية لا سيما بعد الانفتاح على التيارات السياسية الدولية وبعد مراجعة مجمل المواقف الايرانية الرسمية في الحالة العراقية وهي مواقف تزرع غصة في النفس وتؤشر على شكل وطبيعة الافتراق الذهني والسلوكي عن المواقف الايرانية.

والبحث عن تنظيم اسلامي عراقي جديد يستوعب المتغيرات في المنطقة والعالم ويطرح الاشكالية الاسلامية في العراق هو في تقديري عمل ليس موجها ضد قيادة ومرجعية السيد الحكيم السياسية بقدر ما تتيح له مرونة أكبر في تطوير قرار المجلس المستقل وجعل عمله أكثر ديناميكية بعد عقدين من تأسيسه تغير خلالهما شكل العالم، كما تغيرت شكل وصيغ وطرق ادارة الصراع، وخفت بل اختفى في طهران تقريبا ذلك الصوت الهادر الذي كان يدعو لاسقاط النظام العراقي، وبات التعامل الواقعي الرسمي الايراني مع ذلك النظام يحمل تحديا مباشرا للوجود العراقي المعارض، والذي قد يكون رهينة لصفقة من نوع ما بين النظامين، ففي منطقتنا جميع الاحتمالات واردة، كما ان جميع الخيارات مفتوحة، وهنالك تجارب مريرة سابقة تجعل من انفكاك الاسلاميين من العقدة الايرانية أمراً جوهريا بل استراتيجيا للمساهمة الحقيقية في قضية ومسألة التغيير المرتقب في العراق، والذي هو أمر شبه محسوم ولا ينتظر سوى انهاء بعض الترتيبات الاجرائية، وقضية التغيير في العراق هي نقطة الخلاف الرئيسة مع الجانب الايراني، فالايرانيون ليسوا حريصين على مستقبل النظام العراقي الحالي، وقد لا يذرفون الدمع لو رحل بأي طريقة كانت، ولكنهم يتخوفون من شكل وطبيعة التغيير، أي بعبارة أخرى ان متطلبات الأمن القومي الايراني تتناقض مع المشروع الأمريكي القائم للتغيير في العراق، لذلك لا يجدون حرجا في الاعلان الدائم عن رفضهم لاسقاط النظام العراقي الحالي بطريقة أمريكية، وهي اشكالية حساسة للغاية، فما يريده العراقيون أو القطاع الأكبر منهم عاجلا لا يحبذه الايرانيون وتلك من طبائع الأمور.

من زاوية أخرى

الديمقراطية تنمي عوامل الاصلاح.. والدكتاتورية تغذي أسباب التطرف

التعايش السلمي سبيل لتحقيق الذات في مجتمع متباين الأعراق

عقيل نوري محمد

كاتب مقيم في ماليزيا

تعد الحاجة الى تحقيق الذات ضرورة ملحة في المجتمعات المعاصرة ونقلة نوعية على الصعيد الانساني تأتي بعد اشباع الحاجات الانسانية البايولوجية الأساسية ثم الكمالية، لذا يعد تحقيق الذات حاجة متطورة مرتبطة بالحضور الاجتماعي والنفسي للانسان في الحيز الذي يحيا فيه وهي لاتمثل حالة انفصال عن كيان المجتمع وانما رغبة في ادماج الذات مع الحقل (الجماعة او المجتمع) مع تحقيق الاعتزاز بالذات من دون اضرار بالمصلحة العامة.

من أبرز المشكلات التي تواجهها المجتمعات المتكونة من وفئات ومذاهب مختلفة عرقيا ودينيا أزمة تحقيق الذات اذا لم يقم ذلك المجتمع على اسس سلمية تدعم التفاعل بين هذه الفئات.

في هذا النمط من المجتمعات يتأجج الصراع وتصبح كل جماعة حريصة على ان تحفظ كينونتها باي وسيلة من الوسائل ويزداد الشعور بالرغبة نحو التكتل الفئوي عمقا لدى الاقليات لشعورها بحالة من الضعف او الاستضعاف لذا تميل للتكتل نحو الذات املا في تحقيق حالة من التوازن في عملية الصراع مع الآخر مهما كان الآخر أقلية أم أغلبية.

هذا النمط من التكتل سوف يحرك المجتمع نحو دوامة من التباينات التي قد تفضي الى حرب معلنة مرهقة للكل الاجتماعي سياسيا ونفسيا واجتماعيا، لذا تصبح مسألة تحقيق الذات مطلبا خياليا او تخريبيا، خياليا لأن تحقيق الذات مرتبط بالقدرة على الانجاز والتفرد ضمن المحيط الاجتماعي الآمن ومن دون توفر الحاجة الى الامن الاجتماعي تصبح مسألة تحقيق الذات مسألة بالغة الصعوبة أو ربما مستحيلة لان الشعور بالامن يسبق تحقيق الذات اما تخريبيا فهي مسألة مرتبطة بالولاء الاعمى للجماعة، فتصبح مسألة تحقيق الذات مرتبطة بالعنف اي ان التطرف سيصبح المعيار البديل لتحقيق الذات كما نلاحظ في النزاعات القبلية قديما او النزاعات الطائفية والعرقية فيما نعاصر من أحداث.

إذن ما الذي يحتاجه المجتمع لكي ينهي للمجتمع المتباين:

1 ـ رفاهية او كفاية اقتصادية.

2 ـ ديمقراطية على المستويين الاجتماعي والسياسي.

3 ـ قيام المجتمع على المؤسسات.

ان الخلل في البناء الاجتماعي يأتي من فقدان اي ركن من هذه الأركان فكيف بنا ان كان المجتمع يفقد هذه الأركان جميعا.

لماذا الكفاية الاقتصادية أولا؟ كما ذكرت آنفا ان القدرة على تحقيق الذات يجب ان تكون مسبوقة بالقدرة على اشباع الحاجات الاساسية والكمالية كالحاجة الى الطعام والشراب والملبس والمسكن ومايلي ذلك من حاجات لان الانسان لايفكر في الانجاز وتحقيق الذات بشكل سوي ان لم يحقق على الاقل الحاجات الأساسية.

أما مسألة الديمقراطية على المستويين الاجتماعي والسياسي فهي مسألة شديدة الاهمية في عصرنا لان كثيرا من مجتمعات اليوم تجاوزت ازمة تحقيق الحاجات الاساسية، ولكن مسألة الديمقراطية مسألة بالغة التعقيد في العالم الثالث وخصوصا المجتمعات القائمة على التباين.

في مجتمعاتنا العربية على سبيل المثال ما زال كابوس السلطة الابوية مخيما على اسرنا ووصيا على تصرفاتنا ومشاعرنا اجتماعيا ونفسيا وما زال شبح الملكية والجمهورية الأزلية يجثمان على عقل ومشاعر الانسان العربي برغم حصول التطور الملحوظ في انتقال الجمهورية الى(الجملكية)؟! ان الحاجة الى الديمقراطية ليست مسألة هامشية وانما هي مسألة تقود المجتمع الى حالة التعايش السلمي الضروري لتحقيق الامن والقدرة على التعبير من دون وصاية او قمع فكيف يمكن ان نتصور تحقيقا للذات في ظل الخوف والقمع الاجتماعي والسياسي.

اما الحاجة الى المؤسسات فهي مسألة مرتبطة باعادة بناء المجتمع على اسس المساواة والقدرة على الانجاز لا الانحيازات الطائفية والمذهبية و القبلية والعرقية وبالتالي تجاوز الحالة الفئوية الى حالة اكثر ديمومة واكثر ضمانة للمجتمع بكافة فئاته، ان المؤسساتية تعني ان ترسم الادوار وتعين المراكز على أساس الخبرة والكفاءة والتعليم والقدرة على الانجاز، في مثل هذا التوجه تصبح مسألة تحقيق الذات مسألة غير مجهدة على الاطلاق.

في مجتمعاتنا العربية مثلا مازال التقييم يقوم على أساس الانتماء للفئة بدلا من الانتماء للمجموع، فما زلنا نعاني من

مدير عام كل مؤهلاته انه من قبيلة فلان او علان او وزير لايحمل الشهادة الابتدائية الا انه موال لفئة او طائفة معينة ولا أريد ان أخوض أكثر في هذا الموضوع لأنه أصبح مفهوما للجميع.

ان مثل هذا التخبط سيخلق حالة من الفوضى الاجتماعية التي ستتحول مع مرور الزمن جزءا لايتجزأ من البناء الاجتماعي فتصبح الفوضى حالة نظامية اي ان المجتمع لا يستطيع ان يحيا من دونها وبالتالي تصبح مسألة تحقيق الذات مسألة ميؤوس منها الا ما رحم ربي.

في ماليزيا على سبيل المثال تلحظ تطورا واضحا في حياة هذا المجتمع على الرغم من انه يتكون من فئات لا تمت الى بعضها بأي صلة عرقيا او ثقافيا او دينيا (مالاي، صينيون، هنود وفئات وأقليات أخرى) الا انها اعتادت ان تتعايش سلميا وهذا ما ساعد المجتمع على تطوير ذاته وبالتالي سمح للفرد ان يسعى نحو تحقيق الذات.فبرغم ان الفئة الأكثر سيطرة هي (المالي وهم سكان البلاد الاصليون) الا انك تلمس ان المجال مفتوح سياسيا واجتماعيا أمام الجميع كي يثبتوا ذاتهم على أساس مؤسسي فتجد ان الصينيين على سبيل المثال لهم فاعلية اقتصادية ملحوظة.

كما انهم بدأوا يقتحمون الحياة السياسية بقوة وهذا يشير ضمنا الى ان هذا المجتمع يسلك سبيلا ديمقراطيا مؤسسيا لتحقيق مصلحة المجموع وبالتالي يصبح تحقيق الذات ممكنا.

أما عالمنا العربي وبكل اسف الكردي يبقى كردياً والامازيغي يبقى امازيغي والشيعي يبقى شيعياً والسني يبقى سنياً والدكتاتورية تبقى على حالها الى ان يقضي الله أمراً كان مفعولاً.